

REVISION 2

181st Annual General Conference
Sunday Afternoon Session, April 3, 2011

"أي نوع من البشر [رجالاً ونساءً] يجب أن تكونوا؟"

الشيخ لين روبنز

من السبعين

"أن تكون أو لا تكون؟" (هامليت، الفصل الثالث، المشهد الأول) هو في الحقيقة سؤال جيّد جداً. وقد طرحه المخلص بعمق أكبر بكثير فجعل منه سؤالاً عقائدياً حيويّاً لكل واحد منا: "أي نوع من البشر [رجالاً ونساءً] يجب أن تكونوا؟ الحق أقول لكم: يجب أن تكونوا مثلي" (٣ نافي ٢٧: ٢٧؛ مع إضافة الخط المائل للتشديد). ولعلنا يجب أن نشدد هنا على استعمال صيغة المتكلم بعد فعل كان في عبارة مثلي، فالرب يدعونا إلى اعتماد اسمه وطبيعته.

ومن أجل أن نصبح مثله، علينا أن نصنع ما صنعه هو: "الحق أقول لكم إن هذا هو إنجيلي؛ وإنكم تعلمون الأمور التي يجب أن تصنعوها في كنيسة؛ فالأعمال التي رأيتموني أصنع فذلك ستصنعونه" (٣ نافي ٢٧: ٢١؛ مع إضافة الخط المائل للتشديد).

وهكذا لا يمكن الفصل بين أن تكون وأن تصنع. فهما عقيدتان متلازمتان تعزز كل واحدة منهما الأخرى وتقويها. كما أنّ الإيمان يلهمنا بالصلاة مثلاً والصلاة بدورها تقوي إيماننا.

كثيراً ما أدان المخلص أولئك الذين كانوا "يصنعون" ولا "يكونون"—ووصفاً إياهم بالمرائين: "هذا الشعب يكرمني بشفتيه، وأما قلبه فمبتعد عني بعيداً" (مرقس ٧: ٦). إن اعتماد صيغة "نصنع ولا نكون" هو نفاق أو مجرد تظاهر بأننا ما لسنا عليه — فنكون مجرد مدّعين.

والعكس صحيح أيضاً فصيغة "لكون ولا نصنع" أمرٌ باطل، بما أنّ "هكذا الإيمان أيضاً، إن لم يكن له أعمال، ميتٌ في ذاته" (رسالة يعقوب ٢: ١٧؛ مع إضافة الخط المائل للتشديد). أن "لكون ولا نصنع" يعني ألا تكون فعلاً—إنه نوعٌ من خداع الذات وكأننا نعتقد أننا طيبون بمجرد أن نواينا طيبة.

أن نصنع أو نفعل ولا نكون (أي النفاق) يُظهر صورةً خاطئةً للآخرين، فيما أن تكون ولا نصنع يُظهر صورةً خاطئةً لأنفسنا.

وقد أُنّب المخلص الكتبة والفريسيين بسبب نفاقهم قائلاً: "ويلٌ لكم أيها الكتبة والفريسيين المراءون! لأنكم تعشرون"—وهو شيء كانوا يفعلونه—"النعنع والشبث والكمون، وتركتم أثقل الناموس: الحق والرحمة والإيمان" (متى ٢٣: ٢٣). فعجزوا أن يكونوا ما كان يجب أن يكونوا عليه.

وفيما اعترف المخلص بأهمية الفعل، حدّد ما تكون عليه على أنه "أثقل الناموس". وتظهر الأهمية الأكبر لما تكون عليه في الأمثلة التالية:

• النزول في مياه المعمودية هو شيء نفعله. ولكنّ ما تكون عليه، الذي يجب أن يسبق ذلك، هو الإيمان ببسوع المسيح وتغيير داخلي عظيم.

• تناول القربان هو شيء نفعله. ولكن أن نكون مستحقين لتناول القربان هو مسألة أثقل وأكثر أهمية بكثير.

• الرسم في الكهنوت هو شيء نفعله. ولكنّ المسألة الأثقل هنا هي القوة في الكهنوت المرتكزة "على أسس البرّ فقط" أي على أن نكون (المبادئ والعهود ١٢١: ٣٦).

العديد منّا يدون لوائح بالأمر التي عليه أن يفعلها لتذكيره بما يريد أن يحققه. ولكن نادراً ما نضع لوائح بما نريد أن نكون عليه. لماذا؟ لأنّ الأمور التي علينا فعلها هي نشاطات أو أحداث يمكننا شطبها عن اللائحة ما إن ننتهي من تحقيقها. ولكننا لا ننتهي أبداً من تحقيق ما علينا أن نكون عليه. لا يمكننا وضع علامة "انتهى" قرب الأمور التي يجب أن نكون عليها. قد أخرج مع زوجتي مثلاً لإمضاء أمسية رائعة يوم الجمعة المقبل، فهذا شيء فعله. ولكن أن نكون زوجاً صالحاً ليس بحدث بل يجب أن يكون جزءاً من طبيعتي وشخصيتي ومما أنا عليه.

إذا كنتُ والدًا على سبيل المثال، متى يمكنني أن أشطب أحد أطفالتي عن لائحة علي أنه أمرٌ انتهى؟ لا ننتهي أبداً من أن نكون والدين صالحين. ولنكون كذلك، أهمّ ما يمكننا أن نعلّمه لأطفالنا هو كيف يكونون أكثر مثل المخلص.

أن نكون كالمسيح ليس بالشيء المرئي ولكنّه القوّة المحفّزة وراء أفعالنا، التي يمكن أن نراها. عندما يساعد أحد الوالدين مثلاً طفله على تعلّم المشي، نراه يفعل بعض الأمور مثل تأمين توازن الطفل وتشجيعه. فنُظهر هذه الأفعال الحبّ غير المرئي في قلبه والإيمان والأمل غير الملموسين بقدرات طفله. وتستمرّ هذه الجهود يوماً بعد يوم—وهذا إثباتٌ على كون الوالد صبوراً ومثابراً، وهما أيضاً عنصران غير مرئيين.

ولأنّ ما نكون عليه يسبق ما نفعله وهو الحافز وراء الفعل، يتحسّن سلوك الشخص الآخر عندما نعلّمه ماذا يجب أن يكون عليه أكثر ممّا يتحسّن عندما نركّز على ما نفعله.

وعندما يسيء الأطفال التصرف مثلما يفعلون عندما يتشاجرون، غالباً ما نوجّه تأديبنا في الاتجاه الخاطئ ونركّز على ما فعلوه أو الشجار الذي رأيناه. ولكنّ ما فعلوه—أي سلوكهم—هو مجرد عارض للحافز غير المرئي الموجود في قلوبهم. قد نسأل أنفسنا إذاً: "ما هي الصفات التي إن فهمها الطفل ستصحّ سلوكه هذا في المستقبل؟ الصبر والمسامحة عند الانزعاج؟ الحبّ وصنع السلام؟ تحمّل المسؤولية الشخصية لأعماله وعدم إلقاء اللوم على الآخرين؟"

كيف يلقّن الأهل هذه الصفات لأطفالهم؟ ما من فرصة أفضل من طريقة تأديبنا لأطفالنا من أجل تلقينهم صفات شبيهة بصفات المسيح. والتأديب هو نوع من التعليم ويفترض الصبر والمثابرة في التلقين من ناحيتنا. فلا يتمّ ذلك في جوّ من الغضب. يمكننا ويجب أن نؤدّب أطفالنا كما يعلّمنا القسم ١٢١ من كتاب المبادئ والعهود "بالإقناع وطول الأناة والرقّة والاتّضاع والمحبة الخالصة؛ وبالرأفة والمحبة الطاهرة." كلّ هذه الصفات مماثلة لما كان يسوع المسيح عليه ويجب أن تكون جزءاً ممّا نكون عليه نحن كوالدين وكتلاميذ للمسيح (العدّان ٤١-٤٢).

يتعلّم الطفل معنى العواقب جرّاء التأديب. ومن المفيد أن نحول السلبيات إلى إيجابيات في أوقات كهذه. فإذا اعترف الطفل بقيامه بأمر سيئ، علينا أن نمدح شجاعته على الاعتراف. ثمّ نسأل الطفل ما الذي تعلّمه من الخطأ أو العمل السيئ الذي اقترفه، ممّا يعطينا ويعطي الروح بدرجة أهمّ فرصة لمسه وتعليمه. عندما نعلّم الأطفال العقيدة بواسطة الروح، يصبح لدى هذه العقيدة القدرة على تغيير طبيعتهم (أي ما يكونون عليه) مع الوقت.

اكتشف ألما المبدأ ذاته وهو أنّ "الكراسة بالكلمة تنزع بالناس نزوعاً عظيماً إلى الصلاح—فقد أدركت من أذهان الناس ما قصر عنه السيف. . . " لماذا؟ لأنّ السيف يركّز فقط على معاقبة السلوك (ما نفعله) فيما التبشير بالكلمة يغيّر طبيعة الناس أي ما كانوا عليه أو ما يمكنهم أن يصبحوا عليه (ألما ٣١: ٥).

إنّ طفلاً لطيفاً ومطيعاً لن يعلم أباه وأمه الكثير عن التربية. وإن بوركتكم بطفلٍ يمتحن صبركم لدرجة لا توصف، فهو يلقنكم درساً عالياً في التربية. فبدل أن تتساءلوا أين قد أخطأتم في الوجود ما قبل الحياة الأرضية كي تستحقوا ذلك، يمكنكم أن تعتبروا طفلاً يرسم أمامكم التحديات كنعمة وفرصة لتتشيّبوا أنتم بالله أكثر. مع أي نوع من الأطفال ستتمكّنون من اختبار صبركم وطول أناتكم والصفات الأخرى الشبيهة بصفات المسيح وتميئتها وصقلها؟ هل من الممكن أن تكونوا بحاجة إلى هذا الطفل بقدر ما يحتاج هذا الطفل إليكم؟

من ممّا لم يسمع بنصيحة إداة الخطيئة وليس المخطئ. وهكذا، عندما يسيء أطفالنا التصرف، علينا أن ننتبه لنأخذ نقول لهم ما قد يجعلهم يعتقدون أنّ ما فعلوه هو ما هم عليه. "لا تجعلوا الفشل يتطوّر أبداً من مجرد فعلٍ إلى هويّة بواسطة التسميات المصاحبة لذلك مثل 'عبي'—'بطيء الاستيعاب'—'كسول' أو 'أخرق'." أطفالنا هم أبناء الله. وهذه هويّتهم وقدرتهم الحقيقية. وتقتضي خطته على مساعدة أبنائه من أجل تخطي الأخطاء والأعمال السيئة والتقدّم ليصبحوا مثله. لذلك يجب اعتبار السلوك المخيب للأمل مؤقتاً—وليس دائماً، إنّه فعل وليس هويّة.

يمكن للخلط في الهوية أن يحصل أيضاً عندما نسأل طفلاً ماذا يريد أن يكون عندما يكبر وكأنّ عمل الشخص يحدّد هويّته. لا يجوز أن تحدّد المهن أو الممتلكات هويّة الشخص أو قيمته الذاتية. فالمخلص كان نجاراً متواضعاً ولكنّ هذا لم يلعب دوراً كبيراً في تحديد حياته.

عندما نساعد طفلاً على اكتشاف ذاته وتعزيز قيمته الذاتية، يمكننا أن نقدّر إنجازاته أو سلوكه بشكلٍ مناسب—ما يفعله—ولكن قد يكون من الحكمة في مكان أن نركّز المدح الأساسي على طباعه ومعتقداته—أي من يكون.

في أيّ مباراة رياضية، من الحكمة أن نمدح أداء أطفالنا (ما يفعلونه) من وجهة نظر ما يكونون عليه مثل أن نمدح طاقتهم ومثابرتهم وآثرانهم في مواجهة الخصم، وهكذا نكون قد مدحنا ما يكونون عليه وما يفعلونه.

عندما نطلب من أطفالنا أن يقوموا بالمهام المنزلية، يمكننا أن نفكر أيضاً في طرقٍ لنمدحهم على ما يكونون عليه مثل "يسعدني فعلاً عندما تقوم بمهامك المنزلية برضى."

عندما يتلقّى الطفل دفتر العلامات من المدرسة، يمكننا أن نمدحه على علاماته الجيدة ولكنّه قد يكون مفيداً أكثر وعلى المدى الأطول أن نمدحه على/جتهاده: "لقد قمت بكلّ فروضك. وأنت تعرف كيف تعالج الأمور الصعبة وتصل إلى خواتيمها—أنا فخورٌ بك."

خلال وقت الدراسة العائلية للنصوص المقدّسة، ابحثوا عن أمثلة لصفات اكتشفتوها في قراءتكم خلال ذلك اليوم وناقشوها. "تشكّل الصفات الشبيهة بصفات المسيح هبات من الله لا [تستطيعون] تميئتها من دون مساعدته" (بشروا بإنجيلي، ١٥)، فصلوا من أجل هذه الهبات في الصلاة الفردية والعائلية.

تحدّثوا أحياناً على مائدة العشاء عن هذه الصفات، وخاصةً تلك التي اكتشفتوها في النصوص المقدّسة في وقت أبكر من صباح ذلك اليوم. "كيف كنت صديقاً جيّداً اليوم؟ كيف كنت شخصاً يُعتمد عليه؟ أو شخصاً مستقيماً؟" تكثر في النصوص المقدّسة الصفات التي يجب أن نعلّمها ونتعلّمها.

إنَّ أهمَّ طريقة لنعلِّم شخصاً آخر كيف يكون هو أن نتبع مثال أبينا السماوي فنكون لأطفالنا والذين على صورة أبينا السماوي الذي هو والدنا. إنه الوالد المثالي الأوحـد وقد شاركنا بدليل التربية الخاص به: النصوص المقدسة.

لقد وجَّهت ملاحظاتي اليوم بشكلٍ أساسي للأهل ولكنَّ هذه المبادئ تنطبق على الجميع. أتمنّى أن تنجح جهودكم في تطوير صفات شبيهة بصفات المسيح، كي تقبلوا صورته على جباهكم وتكون صفاته واضحة في سلوككم. عندئذٍ، عندما سيشعر أطفالكم أو آخرون بحبكم ويرون سلوككم، سيجذبهم ذلك إليه. هذه هي صلاتي وشهادتي، باسم يسوع المسيح، آمين.

ملاحظة

١. Carol Dweck, “Make Up Your Mind to Succeed,” *Reader’s Digest*, May 2009, 54–55.